[1]القديس الأنبا بيجيمى السائح

خروجه إلى الرهبنة:

في أيام ثيئودسيوس الصغير في زمن أنبا كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية، كان شاب ابن عشر سنين يقال له "بيجيمى" يرعى البهائم في الحقل. فظهر له ملاك الرب في شبه صبي من أقرانه، وكان من جيرانه الذين يرعون الغنم في الحقل معه. حينئذ أتى اليه وتكلم معه قائلا: "أتجئ معي نصير رهباناً ولا نرجع نرعى البهائم ونستريح من عبودية الحقل؟ ... ومن بعد أيام يأتي خلفنا ثلاثة رهبان ويأخذوننا معهم. فإن كنت تريد أن تجيء معنا فتعال. فإني أمضي معهم.

أما أنبا بيجيمى فطاب قلبه، ومال ذهنه وقويت عزيمته فى الرهبنة. وقال للملاك – وهو لا يعلم أنه ملاك – خذني أنا أيضاً معك".

فلما كان بعد ثلاثة أيام، إذا بثلاثة رهبان قد أتوا ماشين في الطريق. وجاء الملاك المتشبه بالصبي إلى أنبا بيجيمي وهو في الحقل، والرهبان الثلاثة كانوا أيضًا آتين في طريقهم. فقال لهم الملاك: "حسن وجيد أيها المبشرون الصالحون أن تأخذوا معكم هذا العمود المنير الذي سيضيئ على كل العالم، ويصير عظيمًا في الله، ويكون مختارًا أفضل من الشهداء. ويأتي إلى هذا الموضع في آخر زمانه، ويصنع الرب قوات وعجائب من أجله، ويكمل شيخوخة حسنة".

وبعد أن قال الملاك هذا اختفى عنهم. حينئذ تحقق الرهبان أن ملاك الرب كان معهم يخاطبهم وأعلمهم الرب بالروح كل شيء عن الصبي القديس الانبا بيجيمي. حينئذ قال له الشيوخ: "أتريد أن تجيء معنا؟ إن الطريق التي نمضي فيها بعيدة ومتعبة جدًا في المشي اليها" أما هو فقال لهم أيضًا: " أنا أجيئ معكم". فقالوا له: "امض قل لأبويك" فقال لهم: "أنتم آبائي". ثم قالوا له: "ما هو اسمك" فأجابهم: "اسمي بيجيمي الذي هو موجود".

ومشى في صحبتهم بفرح. وأنهم مضوا وجازوا في الموضع الذي يدعى برماي، وكان يسكن فيه رجال مختارون لله تعالى، وكان في هذا الجبل برية داخلة بنحو سبعين ميلًا تسمى شيهيت.

مع الشيوخ في شيهيت:

وأن الشيوخ الرهبان أتوا بأنبا بيجيمي إلى شيهيت فجلس معهم. وكانوا يعلمونه نواميس الرهبنة في المشي والكلام باتضاع والحفظ وعمل اليدين والصوم والسهر ومحبة كل الخليقة... وإن الشاب أنبا بيجيمي كان يمشي متقدمًا في خوف الرب، بالاتضاع والصبر الحقيقى. حتى كان الشيوخ يتعجبون من عمله وطاعته.

ولما أكمل سبع سنين وهو مقيم معهم. ألبسوه الأسكيم المقدس. حينئذ لما نظروه في خدمته ومشيه بإتضاع وحكمة ووداعة، كانوا يحسدون سعيه بالرب، وصار لهم مشيرًا. وكان يخضع لهم وهو صالح بشوش حلو ذو سلامة مع كل أحد. حتى كانوا يسمونه فى تلك البرية كلها "ابن السلامة".

وأقام أربعًا وعشرين سنة ساكنًا معهم، لم يرفع وجهه إلى فوق يومًا قط ولا عرف وجه واحد منهم ولا أطرح وصية واحدة. وظل عائشًا معهم حتى أكملوا سيرتهم واحد بعد واحد. وباركوه جميعًهم ببركة عظيمة. كما هو مكتوب "أن بركة الآباء تحل على الابناء" .

بعد نياحة الشيوخ الثلاثة: أما أنبا بيجيمي فسكن فى مسكنه مدة سنتين. وكان يأتي اليه كثيرون من مصر ورهبان آخرون كانوا يسمعون بفضائله ونسكه. لأنه كان انسانًا فاضلًا ووديعًا صالحًا محبًا للغرباء الذين يأتون اليه من كل موضع.

وحينئذ بكت ذاته قائلًا:

"ما الذي أصنع إذا افتقدني الرب وأنا في وسط هذه الجموع ولست استحق واحدًا منهم؟ وبماذا أجيب في الوقت الذي يرسل الله فيه ليخرجني من الجسد وأنا لم أستعد؟

ما الذي أصنع إذا أقاموني أمام الله لكي أجاوب عن الذي صنعته، وألوف ألوف رؤساء الملائكة وربوات ربوات من الملائكة قيام والشاروبيم والسيرافيم حول كرسيه المقدس؟ كم مقدار ألم القلب الذى يصيبني اذا رأيت القديسين كلهم وقلوبهم حزينة من أجلي اذ لا ينظرون في عملًا صالحًا؟!.. "

ثم قال لذاته أيضا:

"ان كنت تريد أن تخلص فأحفظ الوصايا المكتوبة وقبل كل شيئ اجعل لك صومًا لكي تخلص من الزنا. ومن بعد هذا اجعل لك تلاوة لكي تـذكر الـذي قاله الله، لأن في دفعات كثيرة إذا نسـى الانسان فإن التلاوة تذكره... قم للصـلاة، لكي لا تقوى عليك الغفلـة وتطرحك في تجربة. لأنه مكتوب "صلوا لئلا تدخلوا في التجارب". وأيضًا لا تهتم بالغد، فالغد يهتم بشأنه وحده. وان كانت لك أوان كثيرة، فلا تمتنع من أن تتصـدق بها وتقول إني أجـد هذا في الغد. اذكر المكتوب " إني لا أرفضك ولا أتخلى عنك" فانظر لا تبطل وصية الله. ومن بعـد هذا لا تـدن أحـداً، ولا ترذل أحـدًا ولا تلعن أحدًا، حتى ولا الشـيطان تلعنه. لانه مكتوب "إن ميخائيل لما تخاصم هو والشـيطان من أجل جسـد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء"...

وإذا نظرت واحـدًا يخطئ فلا تبغضه، بل أبغض الخطيـة التي رأيته يصـنعها، لئلا تصـنعها أنت أيضًا. مكتوب أن بكر كل دابـة يرفعونه قربانًا للرب. وإذا كان حمارًا أبدله بخروف. هكذا أنت أيضًا. كل ما تراه وتسمعه أبدله بالحسنات. فإذا نظرت إلى صورة حسنة ذكرًا كان أو أنثى، اذكر وجوه القديسـين جميعهم هؤلاء الـذين ينيرون مثل الشـمس في ملكوت السـموات. وإذا رأيت أطعمـة جيدة أو أطيابًا، فأذكر خيرات أورشـليم والأطيـاب الـتي في الفردوس. وفي كـل موضـع اجعـل قلبـك في الله. لأـنه مكتـوب "إذا كنتم قـد قمتم مع المسـيح، فـأطلبوا الأعالى، الموضع الذي المسيح فيه" وأيضًا قبل أن يغلب قلبك، احرس عينيك وأذنيك. لأن هؤلاء هم خدام القلب.

واصـنع قوتك أيضًا لتريح كل انسان، اما بشـغل يديك واما بكلامك واما بشـكلك. وإذا أتيت الى وسط جماعة الأخوة وهم يعملون، فأعمل معهم كقوتك".

بهذا كان الطوباوى أنبا بيجيمي يعلم ذاته وحده.

إلى البرية الجوانية:

وحينئذ قام الصديق أنبا بيجيمي وصعد إلى الجبل الذي في داخل شيهيت.

وأقـام ثلاثـة أيام وثلاث ليال وهو يمشـي في البريـة. ولا يعلم إلى أين هو ماض. ولم يأكل ولم يشـرب في تلك الايام الثلاثـة. ولا حمل معه خبزًا ولا ماء. ولا شيئًا البتة سوى جريدة صغيرة في يده يتوكأ عليها.

وحينئـذ ظهر له مجمع شـياطين متغيرين في طبـاعهم، مخوفين، كثيرين، سـباع، ولبؤات وضـباع ودببـة وكلاـب وخنـازير بريـة... وكـانت الوحوش تخيفه كـل واحـد منهـا حسب طبعه، وانمـا لم تسـتطيع أن تؤذيه. وأما الطوباوى أنبا بيجيمي فإنه لما تأمل الوحوش مضـطربة، صلي ورشم ذاته بصـليب المسيح ونفخ عليهم، فتفرقوا في الجو واضمحلوا مثل الدخان. أما هو فكان يمشي وهو يشكر الله وكانت قوة المسيح تعضده.

ومن بعـد يومين آخرين وهو يمشـي في الجبل وحده، وجد واديًا صـغيرًا نابتة فيه أقصاب وشـجر ونخل مثمر، وفيه قليل ماء لأن وحوش الجبل كانت كثيرة جدًا حتى كاد ينضب الماء.

ولمـا جـاء الصـديق أنبـا بيجيمي إلى الوادي، فرح جـدًا وكـان يبتهـج مثـل من هو كـائن في فردوس النعيم. ثم سار إلى الـداخل مقـدار عشـرين ميلًا، فوجد صخرة عالية وفيها مغارة فسـكن فيها اربعًا وعشـرين سـنة.

وكـان يقول هـذه التسـبحة بفرح وهو يتهلـل بـالروح القـدس هكـذا قائلًا: ما أحسـن ديارك يا يعقوب ومظالك يا إسـرائيل، مثل برج على مجـاري المياه. من ذا الـذي يصـعد إلى جبل الرب، أو من يسـتطيع أن يقف في موضـعه المقـدس إلا الطاهر اليـدين النقي القلب، هـذا يسكن في مغارة الصخرة العالية. وخبزه يعطي له بشدة وماؤه بضيقة. الليلويا

جهاده في البرية:

حينئـذ المجاهد أنبا بيجيمي تعبد بفضائل كثيرة بانشـحاط، وحرص قلب. وكان يتهلل بالروح وهو كائن بفرح عظيم، مثل قوم يعيدون في ولائم الرؤساء ووجوههم تنبع فرحًا.

وأقام ثلاث سـنين يصوم هكـذا: سـتة أيام ويقتات من ثمر النخل الذي في ذلك الوادي وفي كل سـتة أيام يأتي إلى الوادي ويجمع من ثمر النخل. ولم يكن يأكل حتى يملأ بطنه، بل كان يملأ قبضـته، والذي تسعه يده يأكله، وماؤه كان يشربه من الوادى. ولم تكن له عادة قـط أن يضع طعاماً، ولا أن يجمع عنـده ماء فى مسـكنه. بل في كل سـتة أيام إذا أراد أن يأكل يـذهب إلى الوادي والـذي يأكله والـذي يشـربه في الوادي، هذا هو أكله وشربه في كل الايام الستة. وأقام ثلاث سنين في هذه الفضيلة. وصلواته التي كان يصنعها في النهار وحده أربعمائة وأربعون مطانية، وخمسون مزموراً مع قراءات أخرى كثيرة كان يتلوها من موسـى والانبياء. وفي الليل أيضًا كان يجثو مائة وأربعًا وعشـرين دفعـة يجثوها بركبه ويصـلي مائـة مزمور، بالإضافة إلى تلاوات كثيرة كان يقرأها من كتب عتيقة. ولما أقام ثلاث سـنين في هـذه الفضـيلة. تقطعت واحترقت ثيابه التي كان يلبسـها. وكان يفكر ما الـذي يصـنعه من أجل أنه لم يكن يريد أن يرتدي شـيئًا من ملاـبس هـذا العـالم. ولكنه اذ كـان انسانًـا متيقظًـا بصـيرًا بـالكتب، قـال في نفسه: كيف أجلس عريانًا كيف أقـدر أن أصـلي إلى الله وأنا عريـان؟ وحينئـذ ذكر أبانـا آدم وأمنـا حواء وكيف أنهما لما خالفا الله، لم يـدعهما عريانيين بل صـنع لهما ثيابًا من جلود وألبسـهما اياها...

وإيليا النبي لما كان في البريـة وكانت الغربان تعوله، كان جسده مسـتورًا وهو يصـلي إلى الله. ويوحنا المعمدان أيضًا لما كان في البرية وإلى اليوم الـذي جاء فيه إلى الاردن، كان ملتحفًا بثوب من وبر الإبل ومنطقـة من جلـد على حقويه. وساكنوا البريـة أيضًا كانوا يلبسون ثيابًا. فما عسـى أن أكون أنا الـذي لا أسـتحق حذاء رجلي واحد منهم؟ وكيف أقدر أن أجلس وأنا عريان؟ لأن الشـياطين عراة، وأما عن الملائكة الذين يسـبحون الله، فيقول الانجيل "وإذا ملاكان قد نزلا من السـماء وهما مثل البرق ولباسهما أبيض كالثلج "كذلك السيرافيم كانوا يغطون أجسامهم. فكيف أنا الذي أكون اليوم واضمحل في الغد؟!".

وحينئـذ ذكر أيضًا أبانا أنبا بولا السائـح أول راهب يسـكن في البرية، الذي أقام ثمانين سـنة مقيمًا في البرية، وكان لابسًا ثوبًا وقلنسوة من ليف النخل.

ثم بعـد هـذا ازداد في فضـيلة الصوم جـدًا، حتى كان يصوم أربعين يوماً. ومن بعد كمال أربع عشـرة سـنة وهو يصـنع هكذا، وكان يقول لنفسه: "لست أعلم ان كان هذا الذي أصنعه الان يرضى الله أم لا"... وكان يزداد قوة في جسده مثل من هو في عيشة واسعة، كما هو مكتوب أن الذين يخدمون الله "تصير لهم أجنحة كالنسور، يسرعون ولا يجوعون لا يعطشون".

الرؤيا:

وأخيرًا ظهر له ملاك الرب في شـكل صياد وقـدم له خبزًا وقسـطًا من المـاء ومضى... وكـان الشـيخ أنبا بيجيمي يظن أنه خيال، فقام وصلى ورشم الخبز والماء فوجدهما كما هما لم يتغيرا، فعلم أنهما حق وأخذ الخبز فوجده سخنًا مثل الذي يخرجونه من التنور في ذلك الوقت، والمـاء أيضًـا مثـل اللبن، فعلم أن الـذي ظهر له هو ملاك الرب، فتهلـل وشـكر الله على مـا أنعم به عليه، وهكـذا أكل من الخبز وشرب من الماء، وبقيا عنده بالبركة إلى انقضاء سبع سنين.

وبعد هذا ظهر له الرب وباركه وأمره أن يمضي إلى بلده حيث يصنع هناك آيات وعجائب.

وأطاع الأنبا بيجيمي، وظهر لأهله ولم يعرفه أحـد منهم لطول زمان غربته عنهم. وصـنع آيات وعجائب، وشـفى مرضـى كثيرين، وجـذب كثيرين إلى الإيمان بالمسيح.

وفى آواخر أيامه قابل القديس الانبا شنودة وتعزيا معًا.

وأخيرًا رقـد القـديس الانبا بيجيمي في الرب. وأكمل سـعيه المبارك في اليوم الحادي عشـر من كيهك في السـاعـة السابعة من النهار. ومضـي إلى المسـيح الـذي أحبه، حاملًا ثمار الروح القـدس، من أجل طهارته الحقيقية والأتعاب التي حملها حتى جاز أمواج لجة العالم المظلمة.

بركة صلواته المقدسـة تكون معنا جميعًا... آمين.

(نقلت هذه السيرة باختصار عن مخطوطة رقم 296 بدير السريان العامر)

وقد رسم الصورة الراهب بيجيمي بدير السريان عن أصل قديم

---

1. مقال لنيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم – مجلة الكرازة السنة الأولى–العددان الثاني والثالث- فبراير ومارس 1965